بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده تصاريف الأمور وإصلاح الأحوال، وعليه تحقيق الآمال في كل وقت وآن. والصلاة والسلام على الهادي البشير، الذي أرسله مولاه نعمة مُسْدَاة، ورحمة مهداة لجميع خلق الله، سيدنا محمد وآله وصحبه ومَنْ والاه، وكل مَنْ اتبع هداه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين، يا رب العالمين

إخواني وأحبابي بارك الله عزَّ وجلَّ فيكم أجمعين.

كَثُرَ في هذه الأيام الكلام، والكُلُّ يُدلي بدلوه، والكُلُّ يقدح زناد فكره، ويقترح الطريق إلى الإصلاح، والسبيل إلى النجاح، بعد أن أصبحت أحوالنا تُذكرني بما كانت عليه دولتنا أيام المماليك!! كُلُّ لحظة تقوم ثورة من أحد المماليك على الباقين، يتقاتلون ويحاربون بعضهم بعضاً، والخاسر في ذلك هي الجموع المنكسرة الفقيرة التي لا تملك من أمر نفسها قليلاً ولا كثيراً، لأنَّهم كانوا من غشمهم وقوتهم ينهبون المتاجر، ويسلبون ما في البيوت، ويصنعون ما لا يستطيع الإنسان ذكره باللسان – مع أنهم كانوا مسلمين – في إخوانهم المسلمين.

سبل الإصلاح

أي سبيل يجب أن نمضي فيه ليصلح الله عزَّ وجلَّ حالنا؟ نسمع كلمات عامة غير متخصصة في هذا المجال أو ذاك، منهم من يعتقد أن السبيل لإصلاح البلاد هو

إفاضة المال وتكثير الخيرات، وملء الجيوب والخزائن والبيوت بأنواع الأموال، وادَّعوا أن ذلك ما صار عليه أهل الغرب، فتقدموا في نظرهم، ووصلوا في الحضارة إلى ما يعتقدون أن هذا ما ينبغي أن يكون عليه العالم أجمع.

العِلْمُ وحلِّ المشاكل الاجتماعية

ومنهم من يعتقد أن تحقيق الآمال لا يكون إلا بالعلم العصري الحديث الذي يُنمي المخترعات، والذي يزيد الاكتشافات، والذي يسهل الطاقات، ويحول الأعمال إلى أعمال سهلة النوال، عظيمة الكم بعد المنتج النهائي، فتكون قيمتها الاقتصادية لها بال.

ونقول لهؤلاء وهؤلاء: أما من يدَّعي أن المال هو سبيل الإصلاح، فتعالوا معي إلى أغنى عوالم الأرض، وهي الدول الإسكندنافية: مثل السويد والنرويج والدانمرك، وبعدها في المرتبة أميركا وكندا، وبعدها اليابان وألمانيا، وبعدها الدول الأوربية الأخرى، عندهم الخيرات لكنهم لم يكتسبوا القيم التي جاء بها الرسل والأديان السماوية، فتجد أصحاب المصانع، وأصحاب المزارع، والتجار، يكثر عندهم الخير، فيحسبون حسبة مالية رياضية، لو أجَّرنا مخازن احتياطية لهذه الخيرات ستزيد التكلفة علينا ويكون الربح قليل، ماذا يصنعون؟

يرمون الزبد في المحيط، ويرمون القمح والذرة وكل هذه الأصناف الفاخرة في المحيط، ولا تأخذهم شفقة، ولا حنانة، ولا رحمة، مع معرفتهم المعرفة التامة بأن

هناك أناس على سطح البسيطة يتكففون ولا يجدون حتى لقمة العيش الجاف، ولكنهم لا يرسلونها إليهم، حتى يروجون بضاعتهم ويبيعونها بما تحدده الحسابات الرياضية والنظرية عندهم!!.

مع أن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو في أعمق الخلافات بينه وبين أهل مكة، وأشد العداوة منهم لحضرته، حدثت مجاعة كبرى في مكة استجابة لدعوته، فقد قال صلى الله عليه وسلم: {اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِينِ يُوسُفَ}(البخاري ومسلم سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود). فلما أصابهم القحط أرسل أبو سفيان إلى حضرته برسالة، يقول له: (أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ)، أي: أقاربك وأسرتك، فأرسل صلى الله عليه وسلم جمالاً محمَّلة بالمِيرة – دقيق وقمح وسمن وخيرات – ومعها خمسمائة دينار!! مع أنهم كانوا له محاربين، وللعرب على حضرته مُؤلِبين، ويريدون أن يقضوا على دعوته في أي وقت وحين!!

انظر إلى هذا، وانظر إلى الذين يتشدقون بحقوق البشر!! وحقوق الإنسان!! والحريات!! والديمقراطية!! أين ذاك في الاقتصاد؟!! لا يوجد له مجال، لأن المهم عندهم هو المكسب، ولو بموت الآدميين!! ولو بجوع الفقراء والمساكين!! لا يهم، وإنما المهم عندهم هو المكسب.

ثم بعد ذلك مع أن عندهم كل ما يحتاجه المرء في دنياه من مسكن ومأكل ومشرب وملبس وعلاج وتعليم، إلا أن عندهم أكبر نسبة أمراض عصبية ونفسية في

العالم!! وأكبر نسبة في حوادث الانتحار في البشرية كلها!! وفساد تام في العلاقات الاجتماعية، فلا توجد روابط، ولا مودة، ولا تراحم، ولا برّ لابن بأبيه، ولا أي أنواع الصلات التي جاءت بها الديانات، والتي لولاها لمات الإنسان كمداً إذا أحسَّ أنه لا يستطيع أن يتواصل مع من حوله.

أما العلم الذي جعلوه دِيناً يدينون به، فإننا نقول لهم: كم من أشياء ثبت بالعلم أنها ضارة بالإنسان، وتحيق به الضررَّ الشديد، ولا بد له أن يتجنبها ليتجنب هذا الأذى الذي يصيبه بسببها، ولكننا نجدهم أجمعين لا يستطيعوا تركها، كالخمر، والمخدرات، والزنا، والعلاقات الجنسية المشبوهة والمثلية، كاللواط والسحاق وغيرها، والربا ومنه خراب العالم الاقتصادي. كل هذه الأمور يثبت العلم إثباتاً فائق الحدَّ أضرارها، ويدعو لاجتنابها، هل من يؤمنون بالعلم ويُقدسونه استطاعوا إيقاف هذه الأشياء في حياتهم؟ أبداً.

الدِّينُ يَحِلُّ مَشَاكِلَ البَشَرِيَّة

لكن الدِين يستطيع أن يقضي على أي أمر من الأمور في طرفة عين أو أقل، فالخمر استطاع الإسلام أن يقضي عليها في آنات معدودات، حتى أن الله عزَّ وجلَّ لما أنزل فيها أمر آية الختام في تحريمها – بعد التدرج في تحريمها: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [٩٠المائدة].

روت الروايات أن كل من كان عنده جرة أو زجاجة فيها خمر كسرها، وأفرغ

محتوياتها، حتى قيل أن الخمر من كثرتها ساحت في طرقات المدينة، فكان كل من يريد أن يمشي يخوض في الخمر من كثرتها!! في لحظة وأقل بدين الله!!

فالدين له هيمنة على القلوب، وله سلطان على النفوس، لا يستطيع أن يبلغه العلم مهما تحقق صدقه، ومهما سخَّر المختبرات، ومهما اخترع من أدوات، ومهما جهَّز من مخترعات، إلا أن الإنسان باطنه لا يخضع إلا لما جاء من عند خالق الأرض والسماوات عزَّ وجلَّ.

إذاً ما العلاج؟ بعض الإخوة المتدينون يقولون: العلاج في الرجوع للدِّين (الإسلام هو الحل) وأين الحل في الإسلام – والإسلام دين واسع، يسع أقطار السماوات والأرض؟! أي تعاليم من تعاليم الإسلام ينبني عليها الإصلاح؟!! أي قوانين نزل بها كتاب الله نبدأ بها في الإصلاح؟!!

تربية الأفراد

إن الإصلاح كما كان قديماً يكون حديثاً، لا يكون إلا بتربية الأفراد المسلمين على القيم القرآنية التي جاءت من عند الله، وطبَّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه، ثم طبَّقها على مجتمع المؤمنين، التربية الإسلامية على كتاب الله وعلى سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد نجد كثيراً من المتسلقين يتظاهرون بالدين، ويعلنون شعارات دينية،

ويطبعون برامج دينية، لكن ما حالهم عند الصراعات مع إخوانهم في الدين والعقيدة؟ هذا هو الشأن!! هل تنشأ الصراعات على الأُخُوة الإيمانية التي يقول فيها الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [١٠الحجرات]. هل يشتركون في العمل بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [٢المائدة].

كان ولا يزال مبدؤهم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [٨٨هود]. إن جاء على يدي فبِها ونعمتْ، وإن جاء على يد غيري فأنا أعاونه على الإصلاح، وليس شرطاً أن أكون زعيماً أو قائداً أو ذا شأن، المهم أن ينصلح شأن العباد والبلاد، لتسود في بلادنا شريعة السماء، ونور الله وضياء الله في كل الأرجاء، أما أن نتناحر ونتقاتل ونتصارع على المناصب، ونتكالب على الكراسي!! هل هذا في دين الله عزَّ وجلَّ ؟!! أبهذا أمر الدين؟!! هل على هذا النهج كان أصحاب سيد الأولين والآخرين رضي الله تبارك وتعالى عنهم في كل وقت وحين؟!

حتى أنه عندما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم المهاجرون، فراح عمر وأبو بكر وأبو عبيدة، كان كل رجل منهم يُقدِّم صاحبَه، ويريد أن تكون البيعة له، ويرفض أن تكون البيعة لنفسه!! لماذا؟ هكذا علَّمهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٨الحشر].

مراعاة الكفاءة

لا يعبأ الرجل منهم إن خرج إلى الميدان إن كان جندياً أو قائداً، أن يؤم المصلين أو يكون رجلاً من عامة المصلين. والنبي صلى الله عليه وسلم علَّمهم أن يكون الدِّين لله، وأن تكون الكفاءة في تولي المناصب بحسب الخبرات في هذه الحياة، قد يكون دَيِّناً وهو الغاية في الإيمان، لكن هناك من هو أكفأ منه في هذا المنصب. مَن الذي يساوي إيمانه إيمان أبي بكر؟!: {لَوْ وُضِعَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى إِيمَانِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ بِهَا} (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكاني، والبيهقي في الشعب عن ابن عمر).

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرسل جيشاً ومن جنده أبو بكر وعمر، ويأتي قائداً حديث العهد بالإيمان، ولكن له خبرته القتالية، وهو عمرو بن العاص – انظر إلى بُعد نظر الحبيب صلى الله عليه وسلم لتفهم نهجه، ولو اتبعنا نهجه سنصيب ونطيب إن شاء الله – جعل عمرو بن العاص قائداً للجيش، وتحت إمرته أبو بكر وعمر، ليس لأنه أفضل منهما – حاشا لله عزَّ وجلَّ – ولكن ليقيم المنهج النبوي أنه أكفأ في هذا الباب، وهذا باب يحتاج إلى خداع ودهاء، وكان عمرو داهية العرب في هذا الأمر.

وثبتت فراسة النبي صلى الله عليه وسلم!! كان هناك قائد روماني في فلسطين بعد ذلك بمراحل في فتح الشام، وكان اسمه الأرطبون، ولا يستطيع المسلمون كسر

شوكته ولا التغلب عليه! فأراد عمرو بن العاص أن يعرف حقيقة وجلية أمره وقواته، فأرسل إليه يطلب منه أن يأذن لعمرو أن يرسل رسولاً إليه ليحادثه، وهو يريد أن يذهب الرسول – بالمعنى العصري – ليتجسس على جيشه ليعرف قوته. مَن الرسول الذي أرسله عمرو؟

ذهب عمرو بنفسه في صورة رسول!! ودخل وقابل الأرطبون، وتعرَّف على الجيش، ولم يفطن الأرطبون إليه إلا عند خروجه، فقال: إنه عمرو اقتلوه، ففرَّ عمرو، فوصل الخبر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: (رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب)، وكان الأرطبون مشهوراً بالدهاء والمكر!!

توزيع الاختصاصات

فكان صلى الله عليه وسلم يجعل الكفاءات، ولذلك وزَّع الاختصاصات – ولم يجمعها في يد واحد أو عدة أشخاص – فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: {أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ} (الترمذي وابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أنس).

والتزموا بهذه التخصصات!! رأى عمر رضي الله عنه – وكان حافظاً للقرآن،

وكان حسن الصوت بتلاوته – المسلمين مفرقين في صلاة التراويح في رمضان، فجمعهم على الذي أشار إليه النبي وهو أُبَيْ بن كعب رضي الله عنه. لم يقرأ هو القرآن ويصلي بهم، مع أنه جدير بذلك!! لكنه احترم الكفاءات والتخصصات التي وضع أساسها – لتمشي عليه الأُمة إلى يوم الدين – سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المسئولية وحمل الأمانة

وجاء عمر – وكان مثالاً للحاكم العادل – أقام للناس صلاة التراويح جماعة، ولا يصليها معهم، ماذا يفعل؟!! هم يصلون التروايح وهو يمشي في طرقات المدينة يتفقد أحوال أهلها!! لا ينبغي لمن يتولى أمر المسلمين أن يكون عابداً طوال الليل يتلو القرآن ويركع ويسجد!! أولى بذلك أن يتحسس أحوال المسلمين، ويقضي حاجاتهم، وينظر في مصالحهم. لا ينبغي لقائد المسلمين أن يمسك مسبحة في يده ويظل ليله نهاره يسبح الله بلسانه ويترك أمور المسلمين!!

كان عمر لا ينام نهاراً ولا ليلاً إلا غفوة في وقت الضحى، فقيل له في ذلك، فقال: (إذا نمت نهاراً ضيَّعتُ رعيتي، وإذا نمت ليلاً ضيَّعتُ نفسي، فجعلتُ النهار لرعيتي وجعلتُ الليل لربِّي عزَّ وجلَّ)، وكان هذا في بداية توليته للحكم، ثم بعد ذلك كان الليل والنهار بعد الفرائض لرعيته، لأنه حمل همَّ الأمة على كتفه وعنقه، وجعل نفسه مسئولاً مسئولية كاملة عن أحوال رعيته. فكان يقوم بالفرائض، والنوافل في النظر في مصالح الخلق، وقضاء حوائج العباد.

قيامه الليل في حراسة المدينة!! فيرى مَرة امرأة وصبيانها يبكون، وقِدْرٌ لها موقد على النار، فقال: يا أَمَةَ الله لِمَ يبكي هؤلاء الصغار؟ قالت: من الجوع، قال: ولِمَ لا تطعميهم وهذا الطعام على النار؟! قالت: هذا قدر فيه ماء أوهمهم بأن فيه طعام حتى يناموا!! وسأشكو عمر إلى الله عزَّ وجلَّ. قال: ومن أدرى عمر بشأنك؟! قالت: لا ينبغي لمن يكون في مثل مقامه ألا يعرف حالة أحد من المسلمين!!

فزادت همَّه!! فذهب مسرعاً – وكان معه عبد الرحمن بن عوف – وفتحا بيت المال، وحمل الدقيق على ظهره، قال له عبد الرحمن: أحمل عنك، قال: وهل تحمل عني أوزاري يوم القيامة؟!! وحمل الدقيق على ظهره، والسمن في يده وذهب، وقال: يا أمة الله ضعي الدقيق وقلبيه وأنا أنفخ لك النار. فأخذ ينفخ النار والدخان يخرج على وجهه فيُسود لحيته ويسود وجهه، حتى نضج الطعام، وأفرغت للصغار، فسُرُّوا وضحكوا بعدما أكلوا. فقال: يا أمة الله هل تتنازلين بعد ذلك عن مظلمتك في شأن عمر التي ستقدمينها لله عزَّ وجلَّ؟ وإذا بعبد الرحمن يناديه بـ (يا أمير المؤمنين)، فأحسَّت بأنه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

فكانوا يحترمون التخصصات، ويجعلون الكفاءات هي التي تتولى المناصب لتحقيق المرادات. ولا غرو في ذلك، فأنتم تعلمون أن النبي الذي يأتيه الوحي من الله كان يشاور أصحابه، وأخذ برأي الحُباب بن المنذر في غزوة بدر – مع أنه رجل عادي، وأخذ بفكرة سلمان الفارسي في القتال في غزوة الأحزاب.

وما أكثر الأمور التي أخذ فيها بمشورة أصحابه، ليعلن لنا أن الأمور في الدنيا ينبغي أن تكون لأهل الكفاءة ما داموا يخشون الله، ويعملون بكتاب الله، وليس في عملهم الذي يقومون به ما يخالف شرع الله جلَّ في علاه، وهذا هو بيت القصيد.

لكن هل ينبغي أن نجعل الوزراء والمحافظين وكل المسئولين خريجي كلية أصول الدين؟!! لا يصح ذلك!! كيف يكون مدير الإدارة الهندسية أو الطبية خريج كلية أصول الدين؟!! لابد من الكفاءة!! ما دامت الكفاءة صاحبها متمسكاً بهَدْى الله، ويخشى الله، ولا يفعل شيئاً يخالف شرع الله جلَّ في علاه.

إحياء القيم الدينية

إذاً ما نحتاجه الآن في هذه الأيام – ولن ينصلح حالنا إلا به – الرجوع إلى القيم الدينية التي أسسَّها القرآن، وكان عليها النبي العدنان صلى الله عليه وسلم: خشية الله، والخوف مِنْ الله، والمطعم الحلال الذي هو أساس دين الله، وطاعة الله وعبادة الله جلَّ في علاه، والصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، وكل الأخلاق الإسلامية، والقيم الإيمانية التي ركَّز عليها خير البرية، وقال في شأنها صلى الله عليه وسلم: {إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ} (الحاكم في المستدرك ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي عن أبي هريرة). وما المعاناة التي نعانيها جميعاً الآن إلا بسبب مرض النفاق الذي تفَشَّى – وللأسف – بين المسلمين، وهو آفة كل المجتمعات الإسلامية.

فإذا تَفَشَّى النفاق مرضتْ الأخلاق، وإذا مرضتْ الأخلاق ساءتْ الطباع، وإذا ساءتْ الطباع صار الناس يتصارعون في الدنيا، ويتنافسون في الفاني، فكانوا كالوحوش الكاسرة، وكسكان الغابة مع بعضهم وفي كل أحوالهم، وهذا ما نرى منظره الآن في مجتمعنا الذي نحن فيه.

التخلص من أمراض النفاق

لأن المؤمن أول شيء يفعله ليُثَبِّت به إيمانه عند الله أن يتخلص من أمراض النفاق، من الكذب، ومن الخيانة، ومن الغدر، من كل هذه الأمراض التي قال فيها صلى الله عليه وسلم: {أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا، اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ} (البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو)

هل هذه الأوصاف ينبغي لمؤمن أن يكون فيه منها شيء ولو بكم قليل؟! أبداً والله!! لابد أن يتبرأ المؤمن منها بالكلية. ولذلك كل ما نحن فيه الآن بسبب هذه الأمراض التي انتشرت في مجتمعنا، وذهبت القيم الدينية والإسلامية التي كان يحرص عليها مجتمعنا الإسلامي في أي زمان ومكان.

والأعداء يعلمون ذلك علم اليقين!! ولذلك ورد في التاريخ أن أهل أوربا

كانوا يرسلون بين الفينة والفينة جواسيس إلى بلاد الأندلس في قمة ازدهارها، ليعرفوا شأن أهلها، فذهب جاسوس في أيام عظمة الدولة فوجد غلاماً يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن رفاقي يصطادون بالسهم الواحد صيدين، وأنا لا أستطيع إلا أن أصطاد صيداً واحداً. فرجع هذا الجاسوس وأبلغهم بذلك، فقالوا: لا تستطيعون أن تتغلبوا عليهم!! إذا كان صبيانهم يبكون لأنهم لا يستطيعون أن يصيدوا بالسهم الواحد صيدين!! وراحت الأيام، وغاب الكرام، وجاء اللئام، وأرسلوا جاسوساً فوجد شاباً يبكي، فقال له: لِمَ تبكي؟ قال: ضاع مني منديل حبيبتي، فأرسل إليهم، فقالوا: الآن اغزوهم فقد تمكَّن منهم الخور والضعف، وانشغلوا بالدنيا والتفاهات، ولم يعودوا يشتغلون بالقيم التي أمرهم بها دينهم.

فهم يعلمون ذلك علم اليقين!!! ولذلك لا قيام للإسلام في أي زمان أو مكان إلا بالقيم الدينية، فالدستور الذي يتخاصمون عليه، ويشتبكون في معارك شديدة عليه، هل يستطيع هذا الدستور مهما سطَّروا فيه من قوانين وتشريعات أن يقضي على جريمة الكذب؟!

المصائب التي نحن فيها من جريمة الكذب، هل يستطيع أن يقضي على جريمة الخيانة؟! أبداً!! إذا كان الإنسان في غيبة المسئولين فإنه لا يراقب إلا ربَّ العالمين عزَّ وجلَّ، هل يستطيع الدستور أن يصلح النفوس ويجعلها تراقب الملك القدوس؟! أبداً!!

...

لكن عندنا خير دستور وهو كلام رب العالمين .. وهو شرع الله، وديـــن الله ... وهو وحى الله الذي أنزله على حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ، وهو الدســـتور الذي إذا أقمناه انصلحت عليه كل أحوالنا.

مراقبة الله

أين الدستور الذي يستطيع أن يطبق: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُـــواْ فَسَـــيَرَى اللّـــهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [١٠٥التوبة]؟ لا يحتاج إلى لائحـــة جـــزاءات، ولا تحويل لشئون قانونية، لأن أصحابه يراقبون الله عزَّ وجلَّ. هل رأيتم دستوراً في الوجود – من بدء الدنيا إلى يومنا هذا – يجعل الجاني يذهب إلى الحاكم ويعتـــرف بجريمتـــه، ويطلب إقامة الحد عليه ليتطهر؟!!

لم يحدث إلا في زمن الحبيب صلى الله عليه وســـلم ، والغريب والعجيب أن هذا لم يكن من الرجال فقط ، بل والنساء – والقوانين الوضعية التي نحتكم إليها ونختصـــم إليها الآن تجعل الجاني إذا اعترف بأمر، وخرج من مكان الاعتراف يسارع إلى تغيير أقواله!! وقد يتهم من استجوبه بأنه استخدم معه الشدة، أو عذَّبه للاعتراف بأقواله!!

لكن حضرة النبي صلى الله عليه وسلم تأتي المرأة الغامدية، وتقول له: أقم علـــيَّ الحد يا رسول الله، طهرني لقد زنيت، فيقول لها: لعلك لامســـت، لعلـــك ضاجعت، لعلك قبلت، فتقول: زنيت يا رسول الله، لعلك تريد أن تفعـــل

معي ما فعلت مع ماعز – رجل قبلها – إن في بطني أثر ذلك، فأنا حامل من ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من ولي أمرها؟ قالوا: عمها، قال: خذها وأكرمها ولا تمنها حتى تضع ما في بطنها.

وكان الحبيب يستجوبها كل فترة ولكنها لا تغير أقوالها، لأنها قلوب استضاءت بنور الإيمان، فأصبح الإيمان هو المسيطر على الجوارح والأركان، والإيمان إذا سطع في القلب كان مستمداً أنواره من حضرة الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾ [٥٢الشورى]. قد يكون النور في قلب كشمس الضحى، وقد يكون النور في قلب كالمصباح، وقد يكون النور في قلب كالقمر، وقد يكون النور في قلب كالنجم، وقد يكون النور في قلب كشمعة، وقد يكون النور في قلب كشمعة تضيء مرة ويُطفئها الهواء – الحظ والهوى – مرة. قوة النور تجعل الإنسان يراقب الله عزَّ وجلَّ أينما توجه، وحيثما سار، ودائماً أمام ناظريه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤الحديد].

فجيء بها بعد الوضع، فقال: خذها وأكرمها حتى تتم رضاعها، ثلاث سنين ولم تغير أقوالها!! لا محامي غرَّها، ولا صديقة ضرتها، ولا امرأة زينت لها أن تنكر ذلك!! لماذا؟ لأن الكل كان ينشد الحق، والكل كان يمشي على الصدق: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [٢يونس]. فجاءت بعد فطامه وقد أمسكت الغلام قطعة من

الخبز، وقالت: يا رسول الله لقد فطمته وإنه يأكل!! أي تشريع هذا؟! وهل هناك تشريع وصل إلى هذه الدقة في تطهير المجتمع من المصائب والكوارث وغيرها من النكبات التي تُغير أحوال الناس وتجعلهم في حالة سيئة كما نرى الآن؟! لا والله.

إذاً نحن نحتاج إلى التشريعات الإلهية أولاً في القيم القرآنية، ثم نأخذ من التشريعات الإلهية القوانين التي نبني عليها الأحكام وحياتنا الاجتماعية. لكن قبل ذلك لا بد أن تكون التربية للأفراد وللبنات وللرجال وللنساء على القيم القرآنية، لكن لو أخذنا بنود التشريع من الشريعة الإسلامية، ولم يتربى القائمون على هذه القوانين والتشريعات، أو المنفذين لها على هذه القيم، سيحاولون أن يخترقوا الثغرات بنفوسهم، وبأبلستهم، وسيكون معهم شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وإليكم المثال:

هناك باب في الفقه اسمه باب الحيل الفقهية، تحايل على أحكام الله حتى لا ينفذ الإنسان هذه الأحكام، ويعتبر نفسه عاملاً بشرع الله!! مَن الذي يقوم بعمل هذه الحيل؟ علماء أجلاء درسوا الشريعة وتخصصوا فيها، لكن قلوبهم لم تمتلئ بخشية الله، وقد قال الإمام الغزالي رضي الله عنه وأرضاه في كتابه إحياء علوم الدين: (علم الفقه – مع أنه أفضل العلوم – إذا لم يصحبه خشية الله عزَّ وجلَّ زاد قلب صاحبه قساوة فيُفتي لنفسه ويخترع الحِيَلَ لغيره) لماذا؟ لأنه لا يوجد عنده خشية الله عزَّ وجلَّ!! إذاً نحتاج قبل الدستور القيم الإلهية، يتربى عليها الشعب كله،

فنحتاج إلى تغيير المنظومة التعليمية، ونربي القيم.

لو كان هؤلاء المتنافسون تربوا على إخلاص العمل لله، هل سيحدث بينهم خلاف؟! هل سيهاجم بعضهم بعضاً؟! هل سينتقد بعضهم بعضاً على الملأ؟! هل سيُجرِّحُ بعضهم بعضاً؟! كلنا ينبغي أن نجلس سوياً ونتفق ونتعاون على واحد منا أياً كان، ونحن نسانده ونعاونه لكي تمشي سفينة الإسلام في هذا البلد على جودي الأمان، وتصل إلى برِّ الله عزَّ وجلَّ، والعمل بالقرآن بسلام إن شاء الله ... إذاً نحتاج قبل كل شيء إلى القيم، هؤلاء يريدون أن يشكلوا الوزارة، وهؤلاء يتشبثون بالوزارة!! لماذا؟!! لمصلحة مَن ذلك؟!! ومَن المتضرر من ذلك؟ عامة الشعب المساكين.

لو كان هؤلاء يريدون وجه الله، ويعملون أعمالهم خالصة لله – لجلسوا واتفقوا على أن تمر هذه الفترة بأي كيفية، ثم بعد ذلك يمسك الزمام رجل يعمل بما يرضي الله، ويطبق شرع الله، ونعينه جميعاً على تحقيق هذا المراد.

هل شرع الله عزَّ وجلَّ لا يطبقه إلا فلان وفلان؟! مَن قال ذاك؟! ومَن الذي أفتى بذلك؟ ما دمنا جميعاً نتعاون على البرِّ والتقوى فسنقوم بما ينبغي نحو ديننا، ونعمل على تطبيق ما أمر به قرآننا، ونعيد المجد الذي كان عليه سلفنا الصالح أيام نبينا والخلفاء الراشدين. ولذلك نحن دعاة لنشر هذه القيم الإيمانية، فنريد أن نخلص المجتمع من خصال النفاق، وأوصاف المنافقين، وما أكثرها في كتاب الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [١٤٢النساء]. وغيرها من الصفات المذكورة في القرآن.

نريد أن نطهر المجتمع من هذه الأوصاف، حتى يكون المجتمع كالذي قال فيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: {تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}

(البخاري وأحمد عن النعمان بن بشير).

أسأل الله عزّ وجلّ أن يصلح أحوالنا وأن يذهب فساد قلوبنا وأن يجمع شتات أمرنا وأن يجعل أهل بلدنا مصر على قلب رجل واحد تقيًا نقيًا وأن يوحد جمعهم وأن يجمع شملهم وأن يجعلهم أخوة متآلفين متكاتفين متعاونين متباذلين وأن يجعلهم من الذين يقومون بأمر هذا الدين رغبة في العمل الصالح عند رب العالمين وطمعًا في إصلاح هذا البلد الذي هو نبض بلاد الإسلام أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

****